الجزؤ الثلاثون
من
اجزاء الثلاثين

تفسير سورة النبأ اربعون اواحدى واربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عم ﴾ اصله عن مادغمت النون فى الميم لاشتراكهما فى الغنة فصارعما ثم حذفت الالف كما فى لم ولم وفيم والم وعلام فانها فى الاصل لما وبما وفيما والى ما وعلى ما اما فرقا بين الاستفهامية وغيرها اوقصدا للخفة لكثرة استعمالها وقد جاءت فى الشعر غير محذوفة كما ذكره ابو البقاء ومافيها من الابهام للاذان بفخامة شأن المسئول عنه وهوله وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة كأنه خفى جنسه فيسأل عنه فالاستفهام ليس على حقيقته بل لمجرد التفخيم فان المسئول عنه ليس بمجهول بالنسبة الى الله تعالى اذلا يخفى عليه خافية والمعنى عن اى شئ عظيم ﴿ يتساءلون ﴾ اى اهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث والحشر الجسمانى ويتحدثون فيما بينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزآء لكن لاعلى طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذى هو حال من احواله ووصف من اوصافه فان ماوان وضعت لطلب حقائق الاشياء ومسميات اسمائها كما فى قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول مازيد فيقال عالم اوطبيب ﴿ عن النبأ العظيم ﴾ النبأ الخبر الذى له شأن وخطر وهو جواب وبيان لشأن المسئول عنه كأنه قيل عن اى شئ يتساءلون هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم الخارج عن دآئرة علوم الخلق يتساءلون على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله لواحد القهار والفائدة فى أن يذكر السؤال ثم أن يذكر الجواب معه ان هذا الاسلوب اقرب الى التفهيم والايضاح فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه أن يقدر بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال فان الجار فيه مقدم على متعلقه وقيل عن النبأ العظيم استفهام آخر بمعنى أعن النبأ العظيم ام عن غيره الا انه حذف منه حرف الاستفهام لدلالة المذكور عليه ونظيره قوله تعالى أفان مت فهم الخالدون اى أفهم الخالدون ﴿ الذى هم فيه مختلفون ﴾ وصف للنبأ بعد وصفه بالعظيم تأكيدا لخطره اثر تأكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات اى هم راسخون فى الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول انهى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر ومانحن بمبعوثين ومن مقر بزعم ان آلهته تشفع له كما قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومن شاك يقول ماندرى ما السآعة أن نظن الا ظنا ومانحن بمستيقنين وفيه اشارة الى القيامة الكبرى وهى البقاء بعد الفناء اربعين القلب

بعد موت النفس فالروح وقواه تقربها والنفس وصفاتها تنكرها لانها جاهلة فضلا عن كونها ذآئقة ومن لم يذق لم يعرف (قال الكمال الحجندى)

زاهد تعجب كركند ازعشق تو برهيز ٭ كين لذت اين بادمجه دايد كه نخوردست

فطوبى للذآئقين ويا حسرة للمحرومين ﴿ كلا سيعلمون ﴾ ردع كما يستفاد من كلا ووعيد كما يستفاد من سيعلمون اى ليس امر البعث مما ينكر اويشك فيه بحيث يتساءل عنه سيعلمون ان مايتساءلون عنه حق لادافع له واقع لاريب فيه مقطوع لاشك فيه ﴿ ثم كلا سيعلمون ﴾ تكرير للردع والوعيد للمبالغة فى التأكيد والتشديد وثم للدلالة على ان الوعيد الثانى ابلغ واشد يعنى ان ثم موضوعة للتراخى الزمانى وقد تستعمل مجازا فى التراخى الرتبى اى لتباعد مابين المعطوفين فى الشدة والفظاعة وذلك لتشبيه التباعد الرتبى بالتراخى الزمانى فى الاشتمال على مطلق التباعد بين الامرين والمعنى المجازى هو المراد هنا لان المقام مقام التشديد والتهديد وذلك انما يكون آكد بالحمل عليه وبعضهم حملها على معناها الحقيقى فقال سيعلمون حقيته عند النزع ثم فى يوم القيامة ولاشك ان القيامة متراخية بحسب الزمان عن وقت النزع اوسيعلمون حقية البعث حين ان يبعثوا من قبورهم ثم حقية الجزآء بحسب العمل هذا وقد حمل اختلافهم فيه على مخالفتهم للنبى عليه السلام بأن يعتبر فى الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد لاعلى مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لان الكل وان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر اذلاحقية فى شئ منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عليه السلام فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيدلهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس مفموله مايفيء عنه المقام من وقوع مايتساءلون عنه ووقوع مايختلفون فيه بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهى والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه فى معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال ﴿ ألم نجعل الارض مهادا ﴾ الخ استئناف مسوق لتحقيق النبأ والمتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته اثر مابه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن هنا اتضح ان المتساءل عنه هو البعث لاالقرآن اونبوة النبى عليه السلام كما قيل والهمزة للتقرير والمهاد البساط والفراش وفى بعض الآيات جعل لكم الارض فراشا قال ابن الشيخ المهاد مصدر ماهدت بمعنى مهدت كسافرت بمعنى سفرت اطلق على الارض الممهودة اى ألم نجعل الارض بساطا ممهودا تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه وبالفارسية آيا نساخته ايم زمين را فراشى كسترده تا قرار كنيد شما بود وجاى تقلب ومهادا مفعول ثان لجعل ان كان الجعل بمعنى التصيير وحال مقدرة ان كان بمعنى الخلق وجوز ان يكون جمع مهد ككعاب وكعب وجمعه لاختلاف اماكن الارض من القرى والبلاد وغيرها اوللتصرف فيها بأن جعل بعضها مزارع وبعضها مساكن الى غير ذلك وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبى وهو مايمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر ﴿ والجبال

اوتادا ﴿ المراد بجعلها اوتادا لها ارساؤها بما لتسكن ولاتميد بأهلها اذ كانت تميد على الماء كما يرسى البيت بالاوتاد فهو من باب التشبيه البليغ جمع وتد وهو مايوتد ويحكم به المتزلزل المتحرك من اللوح وغيره بالفارسية ميخ . فان قيل أليست ارادة الله وقدرته كافيتين فى التثبيت اجيب بانه نعم الاانه مسبب الاسباب وذلك من كمال القدرة قال بعضهم الاوتاد على الحقيقة سادات الاولياء وخواص الاصفياء فانهم جبال ثابتة وبهم تثبت ارض الوجود وسئل أبوسعيد الخراز قدس سره عن الاوتاد والابدال ايهما افضل فقال الاوتاد قيل كيف فقال لان الابدال يتقلبون من حال الى حال ويبدل بهم من مقام الى مقام والاوتاد بلغ بهم النهاية وثبت اركانهم فهم الذين بهم قوام الخلق قال ان عطاء الاوتادهم اهل الاستقامة والصدق لاتغيرهم الاحوال وهم فى مقام التمكين انتهى والاوتاد أربعة واحد يحفظ الشرق يقال له عبدالحى وواحد يحفظ الغرب يقال له عبدالعليم وواحد يحفظ الشمال يقال له عبدالمريد وواحد يحفظ الجنوب يقال له عبدالقادر والابدال سبعة يحفظون اقاليم الكرة علوا وسفلا . وجه تسميه آنست كه چون يكى ازايشان مرديكى ازجهل تن يعنى نجبا بدل اوشد . وتميم جهل تن بيكى ازسيصد تن است يعنى نقبا وتكميل سيصد تن بيكى ازصلحاء وابدال مقيم نشوند يكجا مكر خسته باشند ومعالجه كنندوبخورند وبپوشند ونكاح كنند پس ازانكه ابدال شوند وقطب الابدال نظير كوكب سهيل كما ان قطب الارشاد نظير الجدى وقطب ابدال درزمان نبى عليه السلام عصام الدين قزنى بودعم اويس وچون اومتوفى شد ابن عطا احد بود ازدهى كه ميان مكه ويمن است وبلال الحبشى رضى الله عنه درزمان نبى عليه السلام ازبدلاى سبعه بودى . وكان الشافعى رضى الله عنه من الاوتاد الاربعة ﴿ وخلقناكم ﴾ عطف على المضارع لمنفى بلم داخل فى حكمه فانه فى قوة اناجعلنا اوعلى مايقتضيه الانكار التقريرى فانه فى قوة ان يقال قدجعلنا ﴿ ازواجا ﴾ اى حال كونكم اصنافا ذكرا وانثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم امر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل والزوج يقال لكل واحد من القرينين المزدوجين حيوانا اوغيره كالخف والنعل ولايقال للاثنين زوج بل زوجان ولذا كان الصواب ان يقال قرضته بالمقراضين وقصصته بالمقصين لانهما اثنان لابالمقراض وبالمقص كذا قال الحريرى فى درة الغواص وقال صاحب القاموس يقال للاثنين هما زوجان وهما زوج انتهى واعلم ان قبيل الاكتفاء بأحد الشقين عن الآخر وزوجة للمرأة لغة رديئة لقوله تعالى ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة ويقال لكل ماهو مقترن بآخر مماثلا له اومضادا زوج ولذا قال بعضهم فى الآية وخلقناكم حال كونكم معروضين لاوصاف متقابلة كل واحد منها مزدوج بمايقابله كالفقر والغنى والصحة والمرض والعلم والجهل والقوة والضعف والذكورة والانوثة والطول والقصر الى غير ذلك وبه يصح الابتلاء فان الفاضل يشتغل بالشكر والمفضول بالصبر ويعرف قدر النعمة عند الترقى من الصبر الى الشكر وكل ذلك دليل على كمال القدرة ونهاية الحكمة ﴿ وجعلنا ﴾ صيرنا ﴿ نومكم ﴾ وهو استرخاء اعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد اليه ولذا قل فى اهل الرياضة لقلة

الرطوبة ﴿ سباتا ﴾ موتا اى كالموت والمسبوت الميت من السبت وهوالقطع لانه مقطوع عن الحركة ومنه سمى يوم السبت لان الله تعالى ابتدأ بخلق السموات والارض يوم الاحد فخلقها فى ستة ايام فقطع عمله يوم السبت فسمى بذلك وايضا هو يوم ينقطع فيه نوااسرآئيل عن العمل والنوم احد التوفيين كما قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها اى ويتوفى التى لم تمت فى منامها وذلك لما بينهما من المشاركة التامة فى انقطاع احكام الحياة فالتنوين للنوعية اى وجعلنا نومكم نوعا من الموت وهو الموت الذى ينقطع ولايدوم اذ لاينقطع ضوء الروح الاعن ظاهر البدن وبهذا الاعتبار قيل له اخو الموت والنوم بمقدار الحاجة نعمة جليلة وقيل سباتا اى قطعا عن الاحساس والحركة لاراحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه ﴿ وجعلنا الليل ﴾ الذى يقع فيه النوم ﴿ لباسا ﴾ يقال لبس الثوب استتر به وجعل اللباس لكل مايغطى الانسان عن قبيح فجعل الزوج لزوجها لباسا من حيث انها تمنعه وتصده عن تعاطى قبيح وكذا البعل وايضا من حيث الاشتمال قال تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن وجعل التقوى لباسا على طريق التمثيل والتشبيه وكذا جعل الخوف والجوع لباسا على التمثيل والتشبيه تصويرا له وذلك بحسب مايقولون تدرع فلان الفقر ولبس الجوع والمعنى لباسا يستركم بظلامه كما يستركم اللباس واعلم المراد به مايستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره فى تحقيق المقصد أدخل صاحب فتوحات آورده شب لباس اصحاب ليل است كه اشانرا ازنظر اغيار بپوشاند تادرخلوت خود لذت مكالمه بامحاضره يامشاهده حريف فراخور استعداد خود برخورداري يابند حضرت شيخ الاسلام قدس شره فرموده كه شب پردهٔ روندكان راهست روز بازار بيدار ان سحركاه

* الليل للعاشقين ستر * ياليت اوقاته تدوم *

چون دردل شب خيال اوبار منست * من سندهٔ شب كه روز بازار منست

فهو تعالى جعل الليل محلا للنوم الذى جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحياة فى قوله تعالى ﴿ وجعلنا النهار معاشا ﴾ اى وقت عيش اى حياة تبعثون فيه من نومكم الذى هو أخو الموت كما فى قوله تعالى وهوالذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا ولم يقل وجعل يقظتكم حياة لتتم المطابقة بينه وبين قوله وجعلنا نومكم سباتا بل عبر عن اليقظة بالنهار لكونه مستلزما لها غالبا ولمراعاة مطابقة وجعلنا الليل ومنه يعلم ان قوله وجعلنا الليل ليس مستطردا فى البين لذكر النوم فى القرينة الاولى فمعاش مصدر من عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة وعيشة وعلى هذا لابد من تقدير المضاف ولذا قدروا لفظ الوقت ويحتمل ان يكون اسم زمان على صيغة مفعل فلاحاجة حينئذ الى تقدير المضاف وتفسيره بوقت معاش ارازلمعنى صيغة اسم الزمان وتفصيل لمفهومها وفى التأويلات النجمية ألم نجعل ارض البشرية مهد استراحتكم وانتشاركم فى انواع المنافع البشرية وجبال نفوسكم القاسية قوآتم ارض البشرية وخلقناكم ازواجا زوج الروح وزوج النفس اوذكر القلب وانثى النفس

وجعلنا نومكم غفلتكم راحة واستراحة باستيفاء اللذات واستقصاء الشهوات وجعلنا الليل طبعتكم ستر النهار روحانيتكم وجعلنا نهار روحانيتكم معاشا تعيشون فيه بالطاعات والعبادات وهذه صورة البعث ﴿ وبنينا فوقكم ﴾ وبنا كرده ايم برسر شما را ﴿ سبعا شدادا ﴾ سبعا جمع شديد أى سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لايؤثر فيها مر الدهور وكر العصور وقال أبو الليث غلاظا غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام والتعبير عن خلقها بالبناء مبنى على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وفيه اشارة الى طبقات القلب السبع الاولى طبقة الصدور وهى معدن جوهر الاسلام والثانية طبقه القلب وهى محل جوهر الايمان والثالثة الشغاف وهى معدن العشق والمحبة والشفقة والرابعة الفؤاد وهو معدن المكاشفة والمشاهدة والرؤية والخامسة حبة القلب وهى مخصوصة بمحبة الله تعالى لاتعلق لها بمحبة الكونين وعشق العالمين والسادسة السويداء وهى معدن العلم اللدنى وبيت الحكمة والسابعة بيت المعزة وهى قلب القلب وفى هذا البيت اسرار الهية لاتخرج من الباطن الى الظاهر اصلا ولايظهر منها أثر قط ﴿ وجعلنا ﴾ انشأنا وأبدعنا ﴿ سراجا ﴾ هو الشمس والتعبير عنها بالسراج من بدائع التعبير عن خلق السموات بالبناء هل الراغب السراج الزاهر بفتيلة ودهن ويعبر به عن كل شئ مضيء ويقال للسراج مصباح ﴿ وهاجا ﴾ وقادا متلألئا من وهجت النار اذا اصابت اوبالغا فى الحرارة من الوهج وهو الحر وهو ماقال بعض المفسرين سراجا وهاجا اى مضيئا جامعا بين النور والحرارة يعنى چراغى افروخته وتابان . يقال ان الشمس والقمر خلقا فى بدء امرهما من نور العرش ويرجعان فى القيامة الى نور العرش وذلك فيما روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال الا احدثكم بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما قال قلنا بلى يرحمك الله فقال ان رسول الله عليه السلام سئل عن ذلك فقال ان الله تعالى لما ابرز خلقه احكاما ولم يبق من خلقه غير آدم خلق شمسين من نور عرشه فاما ماكان فى سابق علمه ان يدعها شمسا فانه خلقها مثل الدنيا مابين مشارقها ومغاربها وماكان فى سابق علمه ان يطمسها ويحولها قمرا فانه خلقها دون الشمس فى العظم ولكن انما يرى صغرهما لشدة ارتفاعهما فى السماء وبعدهما من الارض فلو ترك الله الشمس والقمر كما كان خلقهما فى بدء امرهما لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولايدرى الاجير متى يعمل ومتى يأخذ اجره ولايدرى الصائم متى يصوم ومتى يفطر ولاتدرى المرأة متى تعتد ولايدرى المسلمون متى وقت صلاتهم ومتى وقت حجهم فكان الرب تعالى انظر لعباده وارحم بهم فأرسل جبريل فأمر جناحه على وجه القمر فطمس منه الضوء وبقى فيه النور فذلك قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فالسواد الذى تراه فى القمر شبه الخطوط فيه فهو أثر المحو قال فاذا قامت القيامة وقضى الله بين الناس وميز بين اهل الجنة والنار ولم يدخلوها بعد يعيد عوالرب تعالى بالشمس والقمر ويجاء بهما اسودين مكورين قد وقفا فى زلازل وبلابل ترعد فرائصهما من هول ذلك اليوم ومخافة الرحمن فاذا كانا

حيال العرش خر الله ساجدين فيقولان الهنا قد علمت طاعتنالك وبدأنا فى عبادتك وسرعتنا للمضى فى امرك ايام الدنيا فلاتعذبنا بعبادة المشركين ايانا فقد علمت انالم ندعهم الى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك فيقول الرب صدقتما انى قد قضيت على نفسى ان ابدئ واعيد وانى معيدكما الى ماابدأتكما منه فارجعا الى ماخلقتكما منه فيقولان ربنا نم خلقتنا فيقول خلقتكما من نور عرشى فارجعا اليه قال فتلمع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الابصار نورا فيختلطان بنور العرش فذلك قوله تعالى يبدئ ويعيد كذا فى كشف الاسرار وقال الشيخ رضى الله عنه فى الفتح المكى واما الكواكب كلها فهى فى جهنم مظلمة الاجرام عظيمة الخلق وكذلك الشمس والقمر والطلوع والغروب لهما فى جهنم دائما انتهى . يقول الفقير لعل التوفيق بين هذا وبين الخبر السابق ان كلا من الشمس والقمر حامل لشيئين النورية والحرارة فما كان فيهما من قبيل النور فيتصل بالعرش من غير جرم لان الجرم لايخلو من الغلظة والظلمة والكثافة وما كان من قبيل النار والحرارة فيتصل بالنار جرمهما فكل منهما يرجع الى اصله فان قلت كان الظاهر ان يتصل نورهما بنور النبى عليه السلام لانهما مخلوقان من نوره قلت ان العرش والكرسى خلقا من نوره وخلق القمران من نور العرش فهما فى الحقيقة مخلوقان من نور النبى عليه السلام ومتصل نورهما بنوره والكل نوره والحمد لله تعالى

شمسهٔ نه مسند وهفت اختران ٠ ختم رسل خواجهٔ پيغمبران

﴿ وانزلنا ﴾ النون للعظمة والاشارة الى جمعية الذات والاسماء والصفات ﴿ من المعصرات ﴾ هى السحائب اذا اعصرت اى شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر ولم تعصرها بعد فالانزال من المستعد لامن الواقع والايلزم تحصيل الحاصل وهمزة اعصر للحينونة والمعصرات اسم فاعل يقال احصد الزرع اذا حان له ان يحصد واعصرت الجارية اى حان لها ان تعصر الطبيعة رحمها فتحيض وفى المفردات المعصر المرأة التى حاضت ودخلت فى عصر شبابها انتهى ولو لم تكن للحينونة لكان ينبغى ان يقرأ المعصرات بفتح الصاد على انه اسم مفعول لان الرياح تعصرها ويجوز أن يكون المراد من المعصرات الرياح التى حان لها ان تعصر السحاب فتمطر فهى ايضا اسم فاعل والهمزة للحينونة كذلك فان قيل لم لم تجعل الهمزة للتعدية قلنا لان الرياح عاصرة لامعصرة ﴿ ماء ثجاجا ﴾ اى منصبا بكثرة والمراد تتابع القطر حتى يكثر الماء فيعظم النفع به يقال ثج الماء اى سال بكثرة وانصب وثجه غيره اى اساله وصبه فهو لازم ومتعد ومن الثانى قوله عليه السلام أفضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وفسره الزجاج بالصباب كأنه يثج نفسه مبالغة فيكون متعديا ولا منافاة بين هذا وبين قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء فان ابتداء المطر ان كان من السماء يكون الانزال منها الى السحاب ومنه الى الارض والانزاله منها باعتبار تكونه اسبابا سماوية من جملتها حرارة الشمس فانها تثير وتصعد الاجزاء المائية من اعماق الارض الرطبة او من البحار والانهار الى جو الهواء فتنعقد سحابا فتمطر فالانزال من المعصرات حقيقة

ومن السماء مجاز باعتبار السببية والله مسبب الاسباب ﴿ لنخرج به ﴾ اى بذلك الماء اى بسبب وصوله الى الارض واختلاطه بها وبما فيها وهذه اللام لام المصلحة لا لام الغرض كما تقول المعتزلة ﴿ حبا ﴾ كثيرا يقتات به اى يكون قوتا للانسان وهو مايقوم به بدنه كالحنطة والشعير ونحوهما وفى عين المعانى الحب اسم جنس يعنى به الجمع قال الراغب الحب والحبة يعنى بالفتح يقال فى الحنطة والشعير ونحوهما من المطعومات والحب والحبة يعنى بالكسر يقال فى بزور الرياحين وحبة القلب تشبيها بالحبة فى الهيئة ﴿ ونباتا ﴾ كثيرا يعتلف به اى يكون علفا للحيوان كالتبن والحشيش كما قال تعالى كلوا وارعوا انعامكم وتقديم الحب مع تأخره عن النبات فى الاخراج لاصالته وشرفه لان غالبه غذآء الناس ويقال لنخرج به لؤلؤا وعشبا قال عكرمة ماانزل الله قطرة الا انبت بها عشبة فى الارض اولؤلؤة فى البحر انتهى وهو مخالف للمشهور من ان اللؤلؤ لايتكون من كل مطر بل من المطر النازل فى نيسان الا ان يعمم اللؤلؤ الى الدر وغيره ﴿ وجنات ﴾ لتفكه بها الانسان والجنة فى الاصل هى السترة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه وعلى الارض ذات الشجر قال الفرآء الجنة مافيه النخيل والفردوس مافيه الكرم والمراد هنا هو الاشجار لا الارض ﴿ الفافا ﴾ اى ملتفة تداخل بعضها فى بعض وهذا من محسنات الجنان كما ترى فى بساتين الدنيا وبالفارسية درهم بجيده يعنى بسيار ويكديكر نزديك . قالوا لاواحد له كالاوزاع والاخياف الاوزاع بمعنى الجماعات المتفرقة كالاخياف فانه ايضا بمعنى الجماعات المتفرقة المختلطة ومنه الاخياف للاخوة من آباء شتى وامهم واحدة اوالواحد لف كركن واكسان اولفيف كشريف واشراف وهوجمع لف جمع لفاء كخضر وخضرآء فيكون ألفافا جمع الجمع اوجمع ملتفة بحذف الزوآئد قال ابن الشيخ قدم ذا الحب لانه هوالاصل فى الغذآء وثنى بالنبات لاحتياج سائر الحيوانات اليه واخرت الجنات لانعدام الحاجة الضرورية الى الفواكه . واعلم ان فيما ذكر من افعاله تعالى دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة الاول باعتبار قدرته تعالى فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه وقانون ينتحيه كان على الاعادة اقدر وأقوى والثانى باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات على نمط رآئق مستتبع لغايات جليلة ومنافع جمة عائدة الى الخلق يستحيل ان يفنيها بالكلية ولايجعل لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم انموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين كأنه قيل ألم تعمل هذه الافعال الآفاقية والانفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للايمان به فالكم تخوضون فيه انكارا وتقاولون عنه استهزآء وفى التأويلات النجمية وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا اى من سموات الارواح تحريك نفحات الالطاف مياه العلوم الذاتية والحكم الربانية صبا صبا لنخرج به حبا ونباتا اى انزلنا من سحائب سموات اراءاحكم على ارض قلوبكم مياه العلوم والحكم لنخرج به حب المحبة الذاتية ونبت الشوق والاشتياق والود والارتياح والعشق وامثالها وجنات

ألفافا جنة المحبة وجنة المودة وجنة العشق ملتف بعضها ببعض ﴿ان يوم الفصل﴾ اى فصل الله بين الخلائق وبين السعداء والاشقياء باعتبار تفاوت الهيئات والصور والاخلاق والاعمال وتناسبها ﴿ كان ﴾ فى علمه وتقديره الازلى والاثبوت الميقاتية ليوم الفصل غير مقيد بالزمان الماضى لانه امر مقرر قبل حدوث الزمان ايضا ﴿ ميقاتا ﴾ وميعاد البعث الاولين والآخرين ومايترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا لايكاد يخطىء بالتقدم والتأخر فالميقات وهو الوقت الموقت اى المعين اخص من مطلق الوقت فهو هنا زمان مقيد بكونه وقت ظهور ماوعدالله من البعث والجزاء ﴿ يوم ينفخ فى الصور ﴾ بدل من يوم الفصل اوعطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولاضير فى تأخر الفصل عن النفخ فانه زمان ممتد يقع فى مبدئه النفخة وفى نهايته الفصل ومباديه وآثاره والنفخ نفخ الريح فى الشئ ومنه نفخ الروح فى النشأة الاولى كما قال ونفخت فيه من روحى ويقال انتفخ بطنه ومنه استعير انتفخ النهار اذا ارتفع ورجل منفوخ اى سمين والصور القرن النورانى والنافخ فيه اسرافيل عليه السلام والمعنى يوم ينفخ فى الصور نفخة ثانية للبعث حتى تتصل الارواح بالاجساد وترجع بها الى الحياة ﴿ فتأتون ﴾ خطاب عام والفاء فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فتبعثون من قبوركم فتأتون الى الموقف عقيب ذلك من غير لبث اصلا ﴿ افواجا ﴾ جمع فوج وهو جماعة من الناس فى المفردات الجماعة المارة المسرعة اى حال كونكم امما كل امة مع امامها كما فى قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بأمامهم اوزمرا وجماعات مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع حسب اختلاف اعمالهم وتباينها عن معاذ رضى الله عنه انه سأل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام يامعاذ سألت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها يعنى تكون اسارا كما يشارا يروى يدوزخ ميكشند . وبعضهم عمى وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون ألسنتهم وهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار يعنى بردارهاى آتشين آويخته . وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وهو بالضم جمع قات بالتشديد بمعنى النمام يعنى سخن چين (حكى) ان رجلا باع عبدا وقال للمشترى مافيه عيب الا النميمة فقال رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لايحبك وهو يريد أن يتسرى عليك فخذى الموسى واحلقى من قفاه حين ينام شعرات حتى اسحر عليه فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك أخذت خليلا وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناوم فجاءت المرأة بالموسى فظن انها تقتله فقام فقتلها فجاء اهل المرأة فقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الامر واما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت اى الحرام لانه يسحت الدين والمروءة اى يستأصل واما المنكسون

على وجوههم فأكلة الربا والتنكيس تعكيس هيئة القيام على الرجل بأن يجعل الرجل اعلى والرأس أسفل وبالفارسية نكو نسار كردن . واما العمى فالذين يجورون فى الحكم واما البكم فالمعجبون باعمالهم واماالذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم واما المصابون على جذوع من النار فالسعاة بين الناس الى السلطان يعنى غمازان وسعايت كنندكان بد لاطين وملوك . واماالذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ويمنعون حق الله فى اموالهم واماالذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء جمع جبة وهو ثوب معروف وفى الحديث نشر على ترتيب اللف وبيان المناسبة بين معاصيهم وبين الصور التى يحشرون عليها يطلب من علم التعبير ثم انه فصل هيئات اهل المعاصى مع الاسباب المؤدية اليها لانه اهم اذ التخلية قبل التحلية واكتفى بالاشارة الاجمالية الى هيئات الصالحين بقوله من اتى بضد تلك المعاصى والحاصل انه كما ان الاشقياء يحشرون على صور اعمالهم القبيحة كذلك السعداء يحشرون على صور اعمالهم الحسنة حتى يكون وجوه بعضهم كالقمر ليلة البدر اوكالشمس على ماجاء فى صحيح الروايات وقال بعضهم المراد امة الدعوة فمنهم اصناف الكفرة والمؤمنين لامة الاجابة والاقالحوف على المؤمنين ايضا فى نهاية المرتبة . يقول الفقير الظاهر الثانى وهو ان المراد من الامة الاشقياء من اهل الاجابة دل عليه ارساله عليه السلام عينه حين البيان وكذا بيان اصناف الاعمال من غير ادخال الكفر فيها اذ صور الكفرة اقبح مما ذكر فى الحديث على ماذكر فى الاخبار الصحيحة ثم الحديث ذكره الثعلبى ونحوه فى التفاسير وفيه اهل الطرفين ولاعبرة بماذهب اليه ابن حجر من انه ظاهر الوضع فانه من الجهل بحقيقة الامر اذ يوم القيامة يوم ظهور الصفات كما دل عليه قوله تعالى يوم تبلى السرائر ولاشك ان لكل صفة صورة مناسبة لها حسنة اوقبيحة ولم ينكره احد من العقلاء على انا وان سلمنا ان لفظ الحديث موضوع فمعناه صحيح مؤيد بالاخبار الصحيحة فيا أيها المؤمن لاتكن قاسى القلب كالحجر وكن ممن يتفجر من قلبه انهار الفيوض وينابيع الحكم واجتهد أن لاتكون ممن قيل فيه حفظت شيأ وغابت عنك اشياء فمن عباد الله المخلصين من يأخذ من الله بلاواسطة الكتاب واستاده فانه مرتبة باقية الى يوم القيامة قل من وصع قدمه عليها فلذا كثر الانكار وأكب الناس على الرسوم والظواهر من غير اطلاع على الحقائق والبواطن نسأل الله تعالى أن يجعلنا من اهل معرفته ﴿ وفتحت السماء ﴾ عطف على ينفخ بمعنى تفتح وصيغة الماضى للدلالة على التحقق اى شقت وصدعت من هيبة الله بمسأن كانت لافطور فيها وبالفارسية وشكافته شود آسمان دران روز ﴿ فكانت ﴾ پس باشد ازبسيارى شكاف ﴿ ابوابا ﴾ ذات ابواب كثيرة لنزول الملائكة نزولا غير معتاد وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذى ذكر فى قوله تعالى هل ينظرون الاأن يأتيهم الله اى امره وبأسه فى ظلل من الغمام والملائكة وقيل المراد من الفتح الكشف بازالتها من مكانها كما قال تعالى واذا السماء كشطت ومن الابواب الطرق والمسالك اى تكشط وصير مكانها طرقا

لايسدهاشئ ﴿ وسيرت الجبال ﴾ المسير هوالله تعالى كماقال ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة اى وسيرت الجبال فى الجو بتسيير الله وتسخيره على هيئاتها بعد قلعها عن مقرها وبالفارسية وراننده شود كوهها درهوا . وذلك عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها فى الهوآء وذلك قوله تعالى ﴿ فكانت سرابا ﴾ السراب ماترآه نصف النهار كأنه ماء قال الراغب هو اللامع فى المفازة كالماء وذلك لانسرابه فى مرأى العين اى ذهابه وجريانه وكأن السراب فيما لاحقيقة له كالشراب فيماله حقيقة اى فصارت بتسييرها مثل السراب اى شيأ كلا شئ لتفرق اجزائها وانبثات جواهرها كقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا اى غبارا منتشرا وهى وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها كالسحاب وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية قيل اول احوال الجبال الاندكاك والانكسار كماقال تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وحالتها الثانية أن تصير كالعهن المنفوش وحالتها الثالثة أن تصير كالهباء وذلك بأن تنقطع وتتبدد بعد أن كانت كالعهن كما قال فكانت هباء منبثا وحالتها الرابعة أن تنسف وتقلع من اصولها لانها مع الاحوال المتقدمة غارة فى مواضعها والارض تحتها غير بارزة فتنسف عنها بارسال الرياح عليها وهوالمراد من قوله فقل ينسفها ربى نسفا وحالتها الخامسة ان الرياح ترفعها عن وجه الارض فتطيرها فى الهوآء كأنها غبار وهو المراد بقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب اى تراها فى رأى العين ساكنة فى اماكنها والحال انها تمر مر السحاب التى تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام اذا تحركت نحوا من الانحاء لاتكاد تتبين حركتها وان كانت فى غاية السرعة لاسيما من بعيد والحالة السادسة أن تصير سرابا يقول الفقير فيه اشارة الى ازالة انانية النفوس وتعيناتها فانها عند القيامة الكبرى التى هى عبارة عن الفناء فى الله تصير سرابا حتى اذا جئتها لم تجدها شيأ ولكن العوام المحجوبون اذا رأوا اهل الفناء يأكلون مما يأكلون منه ويشربون مما يشربون منه يظنون ان نفوسهم باقية لبقاء نفوسهم لكنهم يظنون بهم الظن السوء اذ بينهم وبينهم بون بعيد قطعا وفاروق عظيم جدا لانهم ازالت رياح العناية والتوفيق جبال نفوسهم عن مقار أرض البشرية وجعلها الله تلاشية وفتحت سماء ارواحهم فكانت ابوابا كباب السر والخفى والاخفى فدخلوا من هذه الابواب الى مقام اوأدنى فكانوا مع الحق حيث كان الحق معهم ثم نزلوا من هذه الابواب العالية الحقيقية الناظرة الى عالم الولاية فدخلوا فى ابواب العقل والقلب والمتخيلة والمفكرة والحافظة والذاكرة فكانوا فى مقام قاب قوسين مع الخلق حيث كان الخلق معهم فلم يحتجبوا بالخلق عن الحق الذى وهو جانب الولاية ولا بالحق عن الخلق الذى هو جانب النبوة فكانوا فى الظاهر مصداق قوله تعالى يوحى الى فأين المحجوبون عن مقامهم وانى لهم ادراك شأنهم وحقيقة امرهم ﴿ ان جهنم كانت مرصادا ﴾ اى انها كانت فى حكم الله وقضائه موضع رصد يرصد فيه ويرقب خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها فالمرصاد اسم للمكان الذى يرصد فيه كالنهاج اسم للمكان الذى ينهج فيه اى يسلك قال الراغب المرصاد موضع الرصد

كالمرصد لكن يقال للمكان الذى اختص بالترصد والترقب وقوله ان جهنم كانت مرصادا تنبيه على ان عليها مجاز الناس انتهى كأنه عم المرصاد حيث ان الصراط محبس للاعداء وثمر الاولياء والاول اولى لان الترصد فى مثل ذلك المكان الهائل انما هو للتعذيب وهو للكفار والاشقياء ﴿ للطاغين ﴾ متعلق بمضمر هو اسم لمرصادا اى كائنا للطاغين وقوله تعالى ﴿ مآبا ﴾ بدل منه اى مرجعا يرجعون اليه لامحالة واما حال من مآبا قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له قالوا الطاغى من طغى فى دينه بالكفر وفى دنياه بالظلم وهو فى اللغة من جاوز الحد فى العصيان والمراد هاهنا المشركون لما دل عليه مابعده من الآيات وعداهم لا يتناهى لكون اعتقادهم باطلا وكذا اذا لم يعتقدوا شيأ اصلا وان كان الاعتقاد صحيحا كالمؤمن العاصى فعذابه متناه ﴿ لابثين فيها ﴾ حال مقدرة من المستكن فى للطاغين اى مقدرين اللبث فيها واللبث أن يستقر فى المكان ولا يكاد ينفك عنه يقال لبث بالمكان أقام به ملازما له ﴿ احقابا ﴾ ظرف لثهم وهو جمع حقب وهو ثمانون سنة او اكثر وا لدهر والسنة أو السنون كما فى القاموس وأصل الحقب من التزادف والتتابع يقال أحقب اذا أردف ومنه الحقيبة وهى الرفادة فى مؤخر القتب وكل ماشد فى مؤخر رحل او قتب فقد احتقب والمحقب المردف وفى تاج المصادر الاحقاب در حقيبه نهادن . ومنه الحديث فأحقبها على ناقة اى أردفها على حقيبة الرحل والارداف ازپى فراشدن وازپى كسى در نشستن و در نشاندن فمعنى احقابا دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعة حقب آخر الى غير نهاية فان الحقب لايكاد يستعمل الا لاريراد تتابع الازمنة وتواليها كما قال ابو الليث انما ذكر أحقابا لان ذلك كان امرا شيأ عندهم فذكر وتكلم بما يذهب اليه اوهامهم ويعرفونها وهو كناية عن التأبيد اى يمكثون فيها ابدا انتهى دل عليه ان عمر رضى الله عنه سأل رجلا من هجر عن الاحقاب فقال ثمانون سنة كل يوم منها الف سنة انتهى فانهم انما يريدون بمثله التأبيد وكذا مقال مجاهد ان الاحقاب ثلاثة واربعون حقبا كل حقب سبعون خريفا كل خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما واليوم ألف سنة من ايام الدنيا كما روى ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وكذا لو أريد بالحقب الواحد سبعون ألف سنة اليوم منها ألف سنة كما روى عن الحسن البصرى رحمه الله وقال الراغب و الصحيح ان الحقبة مدة من الزمان مبهمة اى لاتتعلق عاما وكذا قال فى القاموس الحقبة بالكسر من الدهر مدة لاوقت لها انتهى والحاصل ان الاحقاب يدل على المتناهى فهو وان كان جمع قلة لكنه بمنزلة جمع كثرة وهو الحقوب او بمنزلة الاحقاب المعرف بلام الاستغراق ولوكان فيه مايدل على خروجهم منها فدلالته من قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار كقوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم لان المنطوق راجح على المفهوم فلا يعارضه وقال ابو حيان المدة منسوخة بقوله فان نزيدكم الاعذابا انتهى وسيأتى وجوه اخر ﴿ لايذوقون فيها بردا ولاشرابا الاحميما وغساقا ﴾ جملة مبتدأة ومعنى لايذوقون لايحسون والاصل الذوق وجود الطعم و (قال الكاشفى) يعنى نمى يابند الا ان يكون ذلك باعتبار الشراب والذوق فى التعارف وان كان للقليل فهو صالح للكثير

لوجود الذوق فى الكثير ايضا والمراد بالبرد ما يروحهم ويتنفس عنهم حر النار و الا فهم يذوقون فى جهنم بردالزمهرير اى بردا يتنفسون به ويميلون اليه فتنكيره للنوعية قال قتادة كنى بالبرد عن الروح لما بالعرب من الحر حتى قالوا برد الله عيشك اى طيبه اعتبارا بما يجد الانسان من اللذة فى الحر من البرد وقال الراغب اصل البرد خلاف الحرارة و برد كذا اذا ثبت ثبوت البرد و اختصاص الثبوت بالبرد كاختصاص الجركة بالحر و برد الانسان مات وبرده قتله ومنه السيوف لبوارد و ذلك لما يعرض للميت من عدم الحرارة بفقدان الروح اولما عرض له من السكون وقولهم للنوم برد امالما يعرض له من البرد فى ظاهر جلده لان النوم يبرد صاحبه ألاترى ان العطشان اذا نام سكن عطشه اولما يعرض له من السكون وقد علم ان النوم من جنس الموت وقوله تعالى لايذوقون فيها بردا اى نوما حتى يستريحوا وبالفارسية تا آسايش يابند وبرودت كسب كنند انتهى بزيادة والمراد بالشراب مايسكن عطشهم والا يمعنى لكن والحميم الماء الحارالذى انتهى حره . وآن آبيست كه چون نزديك روى آرند كوشت روى دران ريزد وچون بخورد امعا واحشا پاره پاره شود . والغساق مايغسق اى يسيل من جلود اهل النار ويقطر من صديدهم وقيحهم اخبرالله تعالى عن الطاغين بأنهم لايذوقون فى جهنم شيأ ما من برد وروح ينفس عنهم حرالنار ولا من شراب يسكن عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا فالاستثناء منقطع وقال الزجاج لايذوقون فيها برد ريح ولا برد ظل ولا برد نوم فجعل البرد برد كل شئ له راحة فيكون قوله ولا شرابا بمعنى ولاماء باردا تخصيصا بعدالتعميم لكماله فى الترويح فيكون مجموع البرد والشراب بمعنى المروح فيكون قوله الاحميما وغساقا مستثنى منقطعا من البرد والشراب وان فسر الغساق بالزمهرير فاستثناؤه من البرد فقط دون الشراب لان الزمهرير ليس بما يشرب كما ان استثناء حميما من الشراب والتأخير لتوافق رؤوس الآى ويؤيد الاول قوله عليه السلام لوأن دلوا من غساق يهراق فى الدنيا لانتن اهل الدنيا وان فسر بما يسيل من صديدهم فالاستثناء من الشراب وعن ابن مسعود رضى الله عنه الغساق لون من ألوان العذاب وهو البرد الشديد حتى ان اهل النار اذا ألقوا فيه سألوا الله أن يعذبهم فى النار ألف سنة لما رأوه اهون عليهم من عذاب الزمهرير يوما واحدا وقال شهربن حوشب الغساق واد فى النار فيه ثلاثمائة وثلاثون شعبا فى كل شعب ثلاثمائة وثلاثون بيتا فى كل بيت اربع زوايا فى كل زاوية شجاع كأعظم ماخلق الله من الخلق فى رأس كل شجاع سم والشجاع الحية هذا وقد جوز بعضهم أن يكون لايذوقون حالا من المنوى فى لابثين لاكلاما مستأنفا اى لابثين فيها احقابا غير ذائقين فيها شيأ سواهما ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب فيكون حالا متداخلة ويكون قوله احقابا ظرف لابثين المقيد بمضمون لايذوقون وانتهاء هذا المقيد لايستلزم انتهاء مطلق اللبث فهو توقيت للعذاب لاللمكث فى النار عن ابن مسعود رضى الله عنه لو علم اهل النار انهم يلبثون فى النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم اهل الجنة انهم يلبثون فى الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا وايضا يجوز ان يكون احقابا ظرفا منصوبا بلا يذوقون على قول من يرى تقديم معمول مابعد لا عليها لا ظرفا

لقوله لابثين فحينئذ لايكون فيه دلالة على تناهي اللبث والخروج حيث لم يكون احقابا ظرف اللبث وايضا يجوز أن يكون أحقابا ليس بظرف اصلا بل هو حال من الضمير المستكن في لابثين بمعنى حقبين اى تكدين محرومين من الخير والبركة في الكون والحركة على أن يكون جمع حقب بفتح الحاء وكسر القاف من حقب الرجل اذا حرم الرزق وحقب العام اذا قل خيره ومطره وقوله لايذوقون فيها بردا تفسير لكدهم ولايتوهم حينئذ تناهي مدة لبثهم فيها حتى يحتاج الى التوجيه هذا ماقالوه في هذا المقام وروى عن عبدالله بن عمر وبن العاص رضي الله عنه انه قال سيأتي على جهنم يوم تصفق ابوابها اى يضرب بعضها بعضا وقد اسندت هذه الرواية الى ابن مسعود رضي الله عنه كما في العرائس ويروى عنه انه قال ليأتين على جهنم زمان تخفق ابوابها ليس فيها احد وذلك بعدما يلبثون فيها احقابا وفي العرائس ايضا وقال الشعبي جهنم اسرع الدارين عمرانا واسرعهما خرابا وفي الحديث الصحيح ينبت الجرجير في قعر جهنم اى لانطفاء النار وارتفاع العذاب بمقتضى قوله سبقت رحمتي على غضبي كما في شرح الفصوص لداود القيصري والجرجير بالكسر بقلة معروفة كما في القاموس وقال المولى الجامي رحمه الله في شرح الفصوص ايضا اعلم ان لاهل النار الخالدين فيها كما يظهر في كلام الشيخ رضي الله عنه وتابعيه حالات ثلاثا الاولى انهم اذا دخلوها تسلط العذاب على ظواهرهم وبواطنهم وملكهم الجزع والاضطراب فطلبوا أن يخفف عنهم العذاب او أن يقضى عليهم او أن يرجعوا الى الدنيا فلم يجابوا الى طلباتهم والثانية انهم اذا لم يجابوا الى طلباتهم وطنوا انفسهم على العذاب فعند ذلك رفع الله العذاب عن بواطنهم وخبت نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة والثالثة انهم بعد مضي الاحقاب ألفوا العذاب وتعودوا به ولم يتعذبوا بشدته بعد طول مدته ولم يتألموا به وان عظم الى أن آل أمرهم الى أن يتلذذوا به ويستعذبوه حتى لو هب عليهم نسيم من الجنة استكرهوه وتعذبوا به كالجعل وتأذيه برآئحة الورد عافانا الله وجميع المسلمين من ذلك والجعل بضم الجيم وفتح العين دويبة تكون بالروث والجمع جعلان بالكسر وقال المولى رمضان والمولى صالح الدين في شرح العقائد قال بعض الاسلاميين كل ماأخبر الله في القرآن من خلود أهل الدارين حق لكن اذا ذبح كبش الموت بين الجنة والنار وبودي اهلهما بالخلود فيهما ايس اهل النار من الخلاص فاعتادوا بالعذاب فلم يتألموا به حتى آل أمرهم الى أن يتلذذوا به ولو هب عليهم نسيم الجنة استكرهوه وتعذبوا به كالجعل يستطيب الروث ويتألم من الورد فيصدق حينئذ قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا على عمومه لارتفاع العذاب عنهم ويصدق ايضا قوله تعالى لايخفف عنهم العذاب لان المراد العذاب المقدر لهم وقال بعض الاكامل فكما اذا استقر اهل دار الجلال فيها يظهر عليهم اثر الجلال ويتذوقون به دآئما ابدا ويختفي جلال الجمال وانوره بحيث يحسونه ولا يرونه ولا يتألمون به قطعا سرمدا فكذلك اذا استقر اهل دار الجلال فيها بعد مرور الاحقاب يظهر على بواطنهم اثر جمال الجلال ويتذوقون به أبدا ويختفي عنهم اثر نار الجلال بحيث

لايحسبونه ولا يرونه ولا يتأملون به سرمدا لكن ليس ذلك الا بعد انقطاع حراق النار بواطنهم و ظواهرهم بمرور الاحقاب وكل منهم تحرقه النار ألف سنة من سنى الآخرة لشرك يوم واحد من ايام الدنيا والظاهر عليهم بعد مرور الاحقاب هو الحال الذى يدوم عليهم أبدا وهو الحال الذى كانوا عليه فى الازل وما بينهما ابتلاآت رحمانية والابتلاء حادث قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة و الينا ترجعون عصمنا الله واياكم من دار البوار انتهى فهذه كلمات القوم فى هذه الآية ولا حرج فى نقلها و نحن لانشك فى خلود الكفار و عذابهم أبدا فان كان لهم العذاب عذابا بعد مرور الاحقاب فقد بدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون كما ان المتزلى يقطع فى الدنيا بوجوب العذاب لغير التائب، ثم قد يبدوله فى الآخرة مالم يكن يحتسبه من العفو وسئل الشيخ الامام مفتى الانام عزالدين ابن عبد السلام بعد موته فى منام رآه السائل ماتقول فيما كنت تنكر من وصول مايهدى من قرآءة القرآن للموتى فقال هيهات وجدت الامر بخلاف ما كنت اظن قالوا خلود اهل النار من الكفار لامعارض له فبقى على عمومه و خلود أهل الكبائر له معارض فيحمل على المكث الطويل فاهل الظاهر والباطن متفقون على خلود الكفار سواء كانوا فرعون و هامان و نمرودا و غيرهم و انما اختلفوا فى ارتفاع العذاب عن ظواهرهم بعد مرور الاحقاب و كل تأول بمبلغ علمه والنص احق ان يتبع قال حجة الاسلام الكفرة ثلاث فرق منهم من بلغه اسم نبينا عليه السلام وصفته ودعوته كالمجاورين فى دار الاسلام فهم الخالدون لاعذر لهم ومنهم من بلغه الاسم دون الصفة وسمع ان كذابا مسلما اسمه محمد ادعى النبوة ومنهم من لم يبلغه اسمه ولا رسمه وكل من هاتين الفرقتين معذورفى الكفر ونقل مثله عن الاشعرى كذا فى شرح العقائد لمصلح الدين وقال المولى داود القيصرى فى شرح الفصوص الوعيد هو العذاب الذى يتعلق بالاسم المنتقم وتظهر احكامه فى خمس طوآئف لاغير لان اهل النار اما مشرك أو كافر اومنافق اوعاص من المؤمنين وهو ينقسم الى الموحد العارف الغير العامل والمحجوب وعند تسلط سلطان المنتقم عليهم يتعذبون بنيران الجحيم وانواع العذاب غير مخلدة على اهله لانقطاعه بشفاعة الشافعين و آخر من يشفع وهو أرحم الراحمين ﴿ جزآء و فاقا ﴾ اى جوزوا بذلك جزآء و فاقا لاعمالهم و اخلاقهم كأنه نفس الوفاق مبالغة اوذا وفاق لها على حذف المضاف اووافقها و فاقا فيكون و فاقا مصدرا مؤكدا لفعله كجزآء والجملة صفة لجزآء وجه الموافقة بينهما انهم اتوا بمعصية عظيمة وهى الكفر فعوقبوا عقابا عظيما وهو التعذيب بالنار فكما انه لاذنب اعظم من الشرك فكذا الاجزآء اقوى من التعذيب بالنار و جزآء سيئة سيئة مثلها فتوافقا وقيل كان وفاقا حيث لم يزد على قدر الاستحقاق ولم ينقص عنه قال سعدى المفتى اعلم ان الكفار لما كان من نيتهم الاستمرار على الكفر كما سيشير اليه قوله تعالى انهم كانوا لايرجون حسابا اذ معناه انهم كانوا مستمرين على الكفر مع عدم توقع الحساب فوافقه عدم تناهى العذاب و لبثهم فيها احقابا بعد احقاب ولما كانوا مبدلين التصديق الذى

يروح النفس و يثلج به الصدر بالتكذيب الذى هو ضده جوزوا بالحميم والغساق بدل مايحمل للمؤمنين مما يروحهم من برد الجنة و شرابها و المناسبة بين الماء والعام يعبر الماء فى الرؤيا بالعلم وقال بعض اهل الحقائق ان جهنم الطبيعة الحيوانية يرصد فيها القوى البشرية وهى خزنة جهنم طبيعة ارباب النفوس الامارة و الهوى المتبع للظالمين على نفوسهم بالاهوية والبدع والاباحة والزندقة و الاتحاد والحلول والفضول ما آبا لابثين فيها احقابا الى وقت الانسلاخ عن حكم البشرية والتلبس بلابس الشريعة و خلع الطريقة والحقيقة لايذوقون فيها برد اليقين برفع الحجاب عن وجه بشريتهم ولا شراب المحبة لانهماكهم فى محبة الدنيا بسبب جهنم الطبيعة الا حميما وغساقا يسيل من صديد طبيعتهم وقال القاشانى الاحميا من اثر الجهل المركب و غساقا من ظلمة هيئات محبة الجواهر الفاسقة والميل اليها جزآء موافقا لما ارتكبوه من الاعمال وقدموه من العقائد والاخلاق وذلك العذاب لفساد العمل والعلم فلم يعلموا صالحا رجاء الجزآء ولم يعلموا علما صالحا فيصدقوا بالآيات ﴿ انهم كانوا لايرجون حسابا ﴾ تعليل لاستحقاقهم الجزآء المذكور و بيان لفساد قوتهم العملية اى كانوا ينكرون الآخرة ولا يخافون ان يحاسبوا باعمالهم فلذا كانوا يقدمون على جميع المنكرات ولا يرغبون فى شئ من الطاعات وفسر الرجاء بالخوف لان الحساب من اصعب الامور على الانسان والشئ الصعب لايقال فيه انه يرجى بل يقال انه يخاف ويخشى ﴿ وكذبوا ﴾ بيان لفساد قوتهم النظرية ﴿ بآياتنا ﴾ الناطقة بذلك وفى بعض التفاسير بآياتنا القولية والفعلية الظاهرة على ألسنة الرسل وايديهم ﴿ كذابا ﴾ اى تكذيبا مفرطا و لذلك كانوا مصرين على الكفر و فنون المعاصى فعوقبوا بأهول العقاب جزآء و فاقا وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء مطرد مثل كم كلاما قال صاحب الكشاف وسمعنى بعضهم افسر آية فقال لقد فسرتها فاذا ماسمع بمثله قال بعضهم و ابدل من احد حرفى تضعيف بعض الاسماء ياء لئلا يلتبس بهذا المصدر المشدد مثل الدينار فان اصله الدنار ومثل السينات فى قول عمر بن عبد العزيز لكاتبه فى بسم الله طول الباء و اظهر السينات و دور الميم فان اصله السنات جمع السن لاجمع السين لانه ليس فى البسملة الا سين واحدة و يجوز ان يقال عبر عن السن بالسين مبالغة كأنه قيل اجعل سنه كسينه فى الاظهار كما ذهب اليه الشريف ﴿ وكل شئ ﴾ اى و احصينا كل شئ من الاشياء التى من جملتها اعمالهم فانتصابه بمضمر يفسره قوله ﴿ احصيناه ﴾ اى حفظناه و ضبطناه وذلك اى انتصابه بالاضمار على شريطة التفسير هو الراجح لتقدم جملة فعله ولا يضره كون هذه الجملة معترضة كما سيجئ اولان المقصود المهم هنا الاخبار عن الاحصاء لا الاخبار عن كل شئ ﴿ كتابا ﴾ مصدر مؤكد لاحصيناه من غير لفظه لما ان الاحصاء والكتابة من واد واحد أى يقشار كان فى معنى الضبط فكأنه قال وكل شئ احصيناه احصاء مساويا فى القوة والثبات بالعلم المقيد بالكتابة اوكتبناه كتابا و اثبتناه اثباتا و يجوز ان يكون من الاحتباك حذف فعل الثانى بقرينة الاول و مصدر الاول بقرينة الثانى اى

احصيناه احصاء و كتبناه كتابا اوهو اى كتابا حال بمعنى مكتوبا فى اللوح وفى صحف الحفظة والجملة اعتراض لتوكيد كفرهم بالحساب و تكذيبهم بالآيات بانهما محفوظان للمجازاة قال القاشانى وكل شئ من صور اعمالهم و هيئات عقائدهم ضبطناه ضبطا بالكتابة عليهم فى صحائف نفوسهم و صحائف النفوس السماوية ﴿ فذوقوا ﴾ بس بجشيد عذاب دوزخ ﴿ فلن نزيدكم الا عذابا ﴾ فوق عذابكم والفاء فى فذوقوا جزائيه دالة على ان الامر بالذوق مسبب عن كفرهم بالحساب و تكذيبهم بالآيات ومعلل به فيكون وكل شئ الخ جملة معترضة بين السبب و مسببه تؤكد كل واحد من الطرفين لانه كما يدل على كون معاصيهم مضبوطة مكتوبة يدل على ان مايتفرع عليها من العذاب كائن لامحالة مقدر على حسب استحقاقهم به وفى الالتفات المنبئ عن التشديد فى التهديد وايراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل مالايدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب مالا يخفى وقد روى عن النبى عليه السلام ان هذه الآية اشد مافى القرآن على اهل النار اى لان فيها الأياس من الخروج وكلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا بأشد منه فتكون كل مرتبة منه متناهية فى الشدة وان كانت مراتبه غير متناهية بحسب العدد والمدة وهذا لايخالف قوله تعالى ولايكلمهم الله لان المراد بالمنفى التكلم باللطف والاكرام لابالقهر والجلال فان قيل هذه الزيادة ان كانت غير مستحقة كانت ظلما وان كانت مستحقة كان تركها فى اول الامر احسانا والكريم لايليق به الرجوع فى احسانه فالجواب انها مستحقة ودوامها زيادة لثقل العذاب وايصاله المستحق فى بعض الاوقات لايوجب الا برآء والاسقاط حتى يكون ايقاعه بعده رجوعا فى الاحسان وايضا كانوا يزيدون كفرهم وتكذيبهم واذيتهم للرسول عليه السلام واصحابه رضى الله عنهم فيزيد الله عذابهم لزيادة الاستحقاق فلا ظلم فان قيل قوله فذوقوا الخ تكرار لانه ذكر سابقا انهم لايذوقون الخ قلنا انه تكرار لزيادة المبالغة فى تقرير الدعوى و هو كون العقاب جزآء و فاقا ﴿ ان للمتقين مفازا ﴾ شروع فى بيان محاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء احوال الكفرة على ماهو العادة القرآنية و وجه تقديم بيان حالهم غنى عن البيان اى ان للذين يتقون الكفر وسائر القبائح من اعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم دل على هذا المعنى تفسيره بما بعده بقوله حدآئق الخ اوموضع فوز فالمفاز على الاول مصدر ميمى وعلى الثانى اسم مكان قان قيل الخلاص من الهلاك اهم من الظفر باللذات فلم اهمل الاهم وذكر غير الاهم قلنا لان الخلاص من الهلاك لايستلزم الفوز بالنعيم لكونه حاصلا لاصحاب الاعراف مع انهم غير فائزين بالنعيم بخلاف الفوز بالنعيم فانه يستلزم الخلاص من هلاك فكان ذكره اولى ﴿ حدآئق واعنابا ﴾ اى بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة و كروما وهو تخصيص بعد التعميم لفضلها قوله حدآئق بدل من مفازا بدل الاشتمال ان كان مصدرا ميميا لان الفوز يدل عليه دلالة التزامية اوالبعض ان جعل مكانا جمع حديقة وهى الروضة ذات الاشجار ويقال الحديقة كل بستان عليه حائط أى جدار وفيه من النخل والثمار وفى المفردات الحديقة قطعة من الارض ذات

ماء سميت تشبيها بحدقة العين فى الهيئة وحصول الماء فيها والاعناب جمع عنب بالفارسية انكور . قال بعضهم ذكر نفسها ولم يذكر شجرها وهو الكرم لان زيادة الشرف فيها لافى شجرها ﴿ وكواعب ﴾ جمع كاعب يقال كعبت المرأة كعوبا طهر ثديها وارتفع ارتفاع الكعب اى نساء عذارى فلكت ثديهن اى استدارت وصارت كالكعب فى التوء يقال فلك ثدى الجارية تفليكا اى استدار كفلكة المغزل ويقال لهن النواهد جمع ناهد وناهدة وهى المرأة كعب ثديها وبدا للارتفاع ﴿ اترابا ﴾ لدات اى مستويات فى السن ولدة الرجل تربه وقرينه فى السن والميلاد والهاء عوض عن الواو الذاهبة من اوله لانه من الولادة قال الرغب اى لدات ينشأن معا تشبيها فى التساوى والتماثل بالترآئب التى هى ضلوع الصدر ولوقوعهن على الارض معا . در تفسير زاهدى آورده كه شانزده ساله باشند ومردان سى وسه ساله ودرا كثر تفاسير هست كه اهل بهشت اززنان ومردان سى وسه ساله خواهند بود . والظاهر مافى تفسير الزاهدى وهو كونهن بنات ست عشرة لكونها نصف سن الرجال وايضا دل عليه الوصف بالكعوب وهو ارتفاع ثديهن والمراد انهن بالغات تمام كمال النساء فى الحسن واللطافة والصلاح للمصاحبة والمعاشرة بحيث لايكون فى سن الصغر حتى تضعف الشهوة لهن ولافى سن الكبر حتى تنكسر الشهوة عنهن بل روآء الشباب اى ماؤه جار فيهن لم يشبن ولم يتغير عن حد الحسن حسنهن وانما ذكرن لان بهن نظام الدنيا ولطافة الآخرة من جهة التنعم الجسمانى ﴿ وكأسا دهاقا ﴾ اى مملوءة بالخمر فدهاقا بمعنى مدهقة وصفت به الكأس للمبالغة فى امتلائها يقال ادهق الحوض ودهقه ملأه . ﴿ لايسمعون ﴾ اى المتقون ﴿ فيها ﴾ اى فى الحدآئق ﴿ لغوا ولا كذابا ﴾ اى لاينطقون بلغو وهو مايلغى ويطرح لعدم الفائدة فيه ولايكذب بعضهم بعضا حتى يسمعوا شيأ من ذلك بخلاف حال اهل الدنيا فى مجالسهم لاسيما عند شربهم قال بعض اهل المعرفة لايسمعون فيها كلاما الا من الحق فان من تحقق بالحق لايسمعه الحق الامنه ولايشهده سواه فى الدنيا والآخرة ﴿ جزآء من ربك ﴾ مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه فى قوة ان يقال جازى المتقين بمفاز جزآء عظيما كائنا من ربك على ان التنوين للتعظيم ﴿ عطاء ﴾ اى تفضلا واحسانا منه تعالى اذلايجب عليه شئ وذلك ان الله تعالى جعل الشئ الواحد جزآء وعطاء وهو غيرظاهر لان كونه جزآء يستدعى ثبوت الاستحقاق وكونه عطاء يستدعى عدم الاستحقاق فالجمع بينهما جمع بين المتنافيين لكن ذلك الاستحقاق انما يثبت بحكم الوعد لامن حيث ان الطاعة توجب الثواب على الله فذلك الثواب بالنظر الى وعده تعالى اياه بمقابلة الطاعة يكون جزآء وبالنظر الى انه لايجب على الله لاحد شئ يكون تفضلا وعطاء وهذا بمقابلة قوله جزآء وفاقا لان جزآء المؤمنين من قبيل الفضل لتضاعفه وجزآء الكافرين من قبيل العدل وهو بدل من جزآء بدل الكل من الكل لان العطاء والجزآء متحدان ذاتا وان تغايرا فى المفهوم وفى جعله بدلا من جزآء نكتة لطيفة وهى ان بيان كونه عطاء تفضلا منه هو المقصود وبيان كونه جزآء وسيلة اليه فان حق البدل ان يكون مقصودا بالنسبة وذكر المبدل

منه وسيلة اليه ﴿ حسابا ﴾ صفة لعطاء بمعنى كافيا على انه مصدر اقيم مقام الوصف اى محسبا وقيل على حسب اعمالهم بأن يجازى كل عمل بما وعده من الاضعاف من عشرة وسبعمائة وغير حساب فماوعده الله من المضاعفة داخل فى الحساب اى المقدار لان الحساب بفتح السين وسكونها بمعنى القدر والتقدير على هذا عطاء بحساب فحذف الجار ونصب الاسم قال بعض اهل المعرفة اذا كان الجزآء من الله لايكون له نهاية لانه لايكون على حد الاعواض بل يكون فوق الحد لانه ممن لاحد له ولانهاية فعطاؤه لاحد له ولانهاية وقال بعضهم العطاء من الله موضع الفضل لاموضع الجزآء والجزآء على الاعمال والفضل موهبة من الله يختص به الخواص من اهل وداده وفى التأويلات النجمية ان للمتقين الذين يتقون عن نفوسهم المظلمة المدلهمة بالله وصفاته وأسمائه مفازا اى فوز ذات الله وصفاته حدآئق روضات القلوب المزهة الارضية واعنابا اشجار المعانى والحقائق الثمرة عنب خمر المحبة الذاتية الخامرة عين العقل عن شهود الغير والغيرية وكواعب اترابا ابكارا اللطائف والمعارف وكأسا دهاقا مملوءة من شراب المحبة وخمر المعرفة لايسمعون فيها لغوا من الهواجس النفسانية ولا كذابا من الوساوس الشيطانية جزآء من ربك عطاء حسابا اى فضلا تاما كافيا من غير عمل وقال القاشانى ان للمتقين المقابلين للطاغين المتعدين فى افعالهم حد العدالة مما عينه الشرع والعقل وهم المتنزلون عن الرذائل وهيئات السوء من الافعال مفازا فوزا ونجاة من النار التى هى مآب الطاغين حدآئق من جنان الاخلاق واعنابا من ثمرات الافعال وهيئاتها وكواعب من صور آثار الاسماء فى جنة الافعال اترابا متساوية فى الترتيب وكأسا من لذة محبة الآثار مترعة ممزوجة بالزنجبيل والكافور لان اهل جنة الآثار والافعال لامطمح لهم الى ماوراءها فهم محجوبون بالآثار عن المؤثر وبالعطاء عن المعطى عطاء حسابا كافيا يكفيهم بحسب همهم ومطامح ابصارهم لانهم لقصور استعداداتهم لايشتاقون الى ماوراء ذلك فلاشئ ألذ لهم بحسب اذواقهم مما هم فيه ﴿ رب السموات والارض وما بينهما ﴾ بدل من ربك والمراد رب كل شئ وخالقه ومالكه ﴿ الرحمن ﴾ مفيض الخير والجود على كل موجود بحسب حكمته وبقدر استعداد المرحوم وهو بالجر صفة للرب وقيل صفة للاول وايا ما كان ففى ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزآء المذكور قال القاشانى اى ربهم المعطى اياهم ذلك العطاء هو الرحمن لان عطاياهم من النعم الظاهرة الجليلة دون الباطنة الدقيقة فشربهم من اسم الرحمن دون غيره وفى التأويلات النجمية رب سموات الارواح وارض النفوس وما بينهما من السر والقلب واقواها الروحانية هو الرحمن اى الموصوف بجميع الاسماء والصفات الجمالية والجلالية لوقوعه بين الله الجامع وبين الرحيم فله وجه الى الالوهية المشتملة على القهر وله ايضا وجه الى الرحيم الجمالى المحض ﴿ لايملكون منه خطابا ﴾ استئناف مقرر لما افادته الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزآء والعطاء من غير أن يكون لاحد قدرة عليه وضمير لايملكون لاهل السموات والارض ومن فى بينه صلة للتأكيد على طريقة قولهم بعت منك

اى بمنك يعنى انه صلة خطابا قدم عليه فانقلب بيانا والمعنى لا يملكون ان يخاطبوه تعالى من تلقاء انفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك اذ المملوك لا يستحق على مالكه شيأ خطابا ما فشئ ما لتفرده بالعظمة والكبرياء وتوحده فى ملكه بالامر والنهى والخطاب والمراد نفى قدرتهم على ان يخاطبوه تعالى بشئ من نقص العذاب وزيادة الثواب من غير اذنه على ابلغ وجه واكده كأنه قيل لا يملكون ان يخاطبوه بما سبق من الثواب والعقاب وبه يحصل الارتباط بين هذه الآية وبين ماقبلها من وعيد الكفار ووعد المؤمنين ويظهر منه ان نفى ان يملكوا خطابه لاينافى الشفاعة باذنه قال القاشانى لانهم اى اهل الافعال لم يصلوا الى مقام الصفات فلاحظ لهم من المكالمة ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا ﴾ اخر الملائكة هنا تعميما بعد التخصيص واخر الروح فى القدر تخصيصا بعد التعميم فالظاهر أن الروح من جنس الملائكة لكنه اعظم منهم خلقا ورتبة وشرفا اذهو بمقابلة الروح الانسانى كما ان الملائكة بمقابلة القوى الروحانية ولاشك ان الروح اعظم من قواه التابعة له كالسلطان مع امرآئه وجنده ورعاياه وتفسير الروح بجبريل ضعيف وان كان هو مشتهرا بكونه روح القدس والروح الامين اذ كونه روحا ليس بالنسبة الى ذاته والا فالملائكة كلهم روحانيون وان كانوا اجساما لطيفة غير الارواح المهيمة وانما هو بالنسبة الى كونه نافخ الروح وحامل الوحى الذى هو كالروح فى الاحياء وقد اتفقوا على ان اسرافيل اعظم من جبريل ومن غيره فلو كان احد يقوم صفا واحدا لكان هو اسرافيل دون جبرآئيل والله اعلم بمراده من الروح وان اختلفت الروايات فيه هذا مالاح لى فى هذا المقام بعون الملك العلام وصفا حال اى مصطفين لكثرتهم وقيامهم بما امرالله فى امر العباد وقيل هما صفان الروح صف والملائكة صف وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله تعالى والملائكة صفا صفا ويوم ظرف لقوله تعالى ﴿ لا يتكلمون ﴾ وقوله تعالى ﴿ الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ﴾ بدل من ضمير لا يتكلمون العائد الى اهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملائكة وهو أرجح لكون الكلام غير موجب والمستثنى منه مذكور وفى مثله يختار البدل على الاستثناء وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه تعالى وكبرياء بويته وتهويل يوم البعث الذى عليه مدار الكلام من مطلع السورة الى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يتكلمون الخ ومؤكد له على معنى ان اهل السموات والارض اذا لم يقدروا بوما ما على ان يتكلموا بشئ من جنس الكلام الا من اذن الله له منهم فى التكلم وقال ذلك المأذون له قولا صوابا اى حقا صادقا او واقعا فى محله من غير خطأ فى قوله فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه اخص من مطلق الكلام واعز منه مراما وقيل الا من اذن الخ منصوب على اصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون الا فى حق شخص اذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا اى حقا هو التوحيد وكلمة الشهادة دون غيره من اهل الشرك فانهم لم يقولوا فى الدنيا صوابا بل تفوهوا بكلمة الكفر والشرك واظهار الرحمن فى موقع الاضمار للايذان بأن مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا ان احدا يستحقه عليه تعالى وفى عرآئس البقلى من كان كلامه فى الدنيا من حيث الاحوال

والاحوال من حيث الوجد والوجد من حيث الكشف والكشف من حيث المشاهدة والمشاهدة من حيث المعاينة فهو مأذون فى الدنيا والآخرة يتكلم مع الحق على بساط الحرمة والهيبة ينقذالله به الخلائق من ورطة الهلاك قال ابن عطاء الخالص ماكان لله والصواب ماكان على وجه السنة وقال بعضهم انما تظهر الهيبة على العموم لاهل الجمع فى ذلك اليوم واما الخواص واصحاب الحضور فهم ابدا بمشهد العزبنعت الهيبة وفيه اشارة الا ان الاسرار والقلوب وقواهم الكائنين بين سموات الارواح وبين ارض النفوس لايملكون أن يخاطبوا الحق فى شفاعة النفس الامارة والهوى المتبع بسبب لحمة النسب الواقع بينهم اذ الكل اولاد الروح والقالب كما لم يملك نوح عليه السلام أن يخاطب الحق فى حق ابنه كنعان بمعنى انه لم يقدر على انجائه اذجاء الخطاب بقوله فلا تسألن مالیس لك به علم ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور ومحله الرفع على الابتدآء خبره مابعده اى ذلك اليوم العظيم الذى يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم ولاغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال ﴿ اليوم الحق ﴾ اى الثابت المتحقق لامحالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وذلك لانه متحقق علما فلابد أن يكون متحققا وقوعا كالصباح بعد مضى الليل وفيه اشارة الى انه واقع ثابت فى جميع الاوقات والاحايين ولكن لايبصرون به لاشتغالهم بالنفس الملهية وهواها الشاغل ﴿ فمن شاء اتخذالى ربه مآبا ﴾ الفاء فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزآء وانتفاء الغرابة فى تعلقه بها حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بما قدم عليه اهتمامابه ورعاية للفو اصل كأنه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لامحالة فمن شاء أن يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذى ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة مآبا اى سبيلا وتعلق الجار به لما فيه من معنى الاقتضاء والايصال وفى التأويلات النجمية مآبا اى مرجعا و رجوعا من الدنيا الى الآخرة ومن الآخرة الى رب الدنيا ولاآخرة لانهما حرامان على اهل الله ﴿ انا انذرناكم ﴾ اى بما ذكر فى السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواعى اوبها وبسائر القوارع الواردة فى القرآن والخطاب لمشركى العرب وكفار قريش لانهم كانوا ينكرون البعث وفى بعض التفاسير الظاهر عموم الخطاب كعموم من لان فى انذار كل طائفة فائدة لهم ﴿ عذابا قريبا ﴾ هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة اليه تعالى وممكن وان رأوه بعيدا وغير ممكن فيرونه قريبا لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الاعشية اوضحاها وقال بعض اهل المعرفة العذاب القريب هو عذاب الالتفات الى النفس والدنيا والهوى وقال الشاقانى هو عذاب الهيئات الفاسقة من الاعمال الفاسدة دون ماهو أبعد منه من عذاب القهر والسخط وهوماقدمت ايديهم ﴿ يوم ينظر المرء مافدمت يداه ﴾ تثنية اصلها يدان سقطت نونها بالاضافة ويوم بدل من عذابا اوظرف لمضمر هو صفة له اى عذابا كائنا يوم ينظر المرء اى يشاهد ماقدمه من خيراً وشر يعنى بازيابد كردارهای

خودرا ازخير وشر ، على ان ماموصولة منصوبة بينظر لانه يتعدى بنفسه وبالى والعائد محذوف اى قدمته اوينظر اى شئ قدمت بداء على انها استفهامية منصوبة بقدمت متعلقة بينظر فالمراد عام للمؤمن والكافر لان كل احدير عمله فى ذلك اليوم مثبتا فى صحيفته خيرا كان اوشرا فيرجو المؤمن ثواب الله على صالح عمله ويخاف العقاب على سيئه واما الكافر فكما قال الله تعالى ﴿ ويقول الكافر ياليتنى ﴾ اى يا قوم فالمنادى محذوف ويجوز أن يكون بالمحض التحسر وللمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه وبالفارسية اى كاشكى من ﴿ كنت ترابا ﴾ فى الدنيا فلم اخلق ولم اكلف وهو فى محل الرفع على انه خبرليت اوليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم ابعث كقوله ياليتنى لم اوت كتابيه الى أن قال ياليتها كانت القاضية وقيل يحشرالله الحيوان فيقتص للجماء من القرناء نطحتها اى قصاص المقابلة لاقصاص التكاليف ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله كماقال عليه السلام لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء وهذا صريح فى حشر البهائم واعادتها لقصاص المقابلة لاللجزاء ثوابا وعقابا وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده ونواهيهم فيتمنى أن يكون الشئ الذى احتقره حين قال خلقتنى من نار وخلقته من طين يعنى ابليس آدمرا عيب مى كردكه ازخاك آفريده شده وخود را مى ستودكه من از آتش مخلوقم چون دران روز كرامت آدم وثواب فرزندان مؤمن او مشاهده نمايد وعذاب وشدت خودرا بيند آرزو بردكه كاشكى من ازخاك بودمى ونسبت بآدم داشتمى اى درويش اين دبدبه وطنطنه كه خاكيانراست هيچ طبقه ازطبقات مخلوقا ترا نيست

خاك راخوار و تيره دید ابلیس ◦ کرد انکارش آن حسود خسیس
ماند غافل زنور باطن او ◦ نشنـدا که زسر کامل او
بهرکنجی که هست دردل خاك ◦ این صدا داده اند در افلاك
که بجز خاك نیست مظهر کل ◦ خاك شـو خاك تابروید کل

واما مؤمنوا الجن فلهم ثواب وعقاب فلا يعودونه ترابا وهو الاصح فيكون مؤمنوهم مع مؤمنى الانس فى الجنة او فى الاعراف ونعيمهم ماينا سب مقامهم ويكون كفار هم مع كفار الانس فى النار وعذابهم بما يلائم شانهم وقيل هو تراب سجدة المؤمن تنطفئ به عنه النار وتراب قدمه عند قيامه فى الصلاة فيتمنى الكافر أن يكون تراب قدمه وفى التأويلات النجمية يوم ينظر المرء ماقدمت يد قلبه ويد نفسه من الاحسان والاساءة ويقول كافر النفس الساتر للحق ياليتنى كنت تراب اقدام الروح والسر والقلب متذللة بين يديهم مؤتمرة لاوامرهم ونواهيهم ﴿ وفى كشف الاسرار ﴾ از عظمت آن روز است كه بيست وچهار ساعت شبانروز دنيارا بر مثال بيست وچهار خزانه حشر كنند ودرهرصفات قيامت حاضر كردانند يكان يكان خزانه ميكشايند وبربنده عرض مبدهند از ان خزانه بكشايند برها وجمال ونور وضيا وآن آن ساعتست كه بنده رزخيرات وحسنات وطاعات بود بنده چون

حسن وبور بهای آن بیند چندان شادی و طرب و اهتزاز بروغالب شود که اگر انرا برجملهٔ دوزخیان قسمت کنند از دهشت آن شادی الم ودرد آتش فراموش کنند خزانهٔ دیگر بکشایند تاریك ومظلم پرنتن ووحشت و آن آن ساعتست که بنده در معصیت بوده وحق ازوه ظلمت و وحشت آن کردار درآید چندان فزع وهول ورنج وغم اورا فروگیرد که اگر برکل اهل بهشت قسمت کنند نعیم بهشت بر ایشان منغص شود خزانهٔ دیگر بکشایند حالی که درونه طاعت بود که سبب شادی است نه معصیت که موجب اندوهست وآن ساعتی است که بنده در وخفته باشد یاغافل یامباحات دنیا مشغول بوده بندہ ران حسرت خورد وعین عظیم برورواه یابد همچنین خزائن یك یك میکشایند وبروعرضه میکنند از ان ساعت که درطاعت کرده شاد میگردد وازان ساعت که درو معصیت کرده رنجور میشود وبرساعتی که مهمل گذاشته حسرت وغبن میخورد وچون کار مؤمن مقصر دران روز این باشد پس قیاس کن که حال کافر چگونه باشد درحسرت وندامت وآه وزاری ۰ روی ابی بن کعب رضی‌الله عنه قال رسول‌الله صلی‌الله علیه وسلم من قرأ عم یتساءلون سقاه‌الله بردالشراب یوم‌لقیامة وعن‌ابی‌الدرداء رضی‌الله‌عنه قال قال‌النبی علیه‌السلام تعلموا سورة عم یتساءلون عن‌النبأ العظیم و تعلموا ق والقرآن المجید والنجم اذاهوی والسماءذات‌البروج والسماءوالطارق فانکم لوتعلمون مافیهن لعطلتم ماأنتم علیه وتعلمتموهن وتقربوا الی‌الله بهن ان‌الله یغفر بهن کل ذنب الاالشرك بالله وعن ابی بکر الصدیق رضی الله عنه قال قلت یارسول‌الله لقد أسرع الیك الشیب قال شیبتنی هود والواقعة والمرسلات وعم یتساءلون واذاالشمس کورت الکل فی کشف الاسرار وفیه اشارة الی ان من تعلم هذه السور ینبغی له أن یتعلم معانیها ایضا اذلایحصل المقصود الابه وتصریح بان هم الآخرة ومطالعة الوعد واستحضاره یشیب الانسان ولذاذم الحبر السمین والقاری السمین ازلم یکن سمنیا الا بالذهول عما قرأه ولو استحضره وهم به لشاب من همه وذاب من غمه لان الشحم مع‌الهم لاینعقد قال الشافعی رحمه‌الله ما أفلح سمین قط الا أن یکون محمد بن‌الحسن فقیل له ولم قال لانه لایخلو العاقل من احدی حالتین اما أن یهم لآخرته ومعاده اولدنیاه ومعاشه والشحم مع الهم لاینعقد فاذا خلا من‌المعنیین صار فی‌حد البهائم بعقد الشحم

تمت سورة النبأ بالعون الا لهی فی‌الثانی والعشرین من شهرالله المحرم من شهور سنة سبع‌عشرة ومائة وألف